اسم الأستاذ(ة): سميرة رجم
المقياس: الأسلوبية و تحليل الخطاب
السنة: الثانية
التخصص: دراسات أدبية
النوع (محاضرة-تطبيق): تطبيق
الفوج/المجموعة: الفوجين 03 و 07.

دراسة أسلوبية لقصيدة "أنشودة المطر" ل "بدر شاكر السياب":

- **قصيدة "أنشودة المطر"**

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ ،
أو شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا القَمَرْ .
عَيْنَاكِ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الكُرُومْ
وَتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ...كَالأَقْمَارِ في نَهَرْ
يَرُجُّهُ المِجْدَافُ وَهْنَاً سَاعَةَ السَّحَرْ
كَأَنَّمَا تَنْبُضُ في غَوْرَيْهِمَا ، النُّجُومْ ...
وَتَغْرَقَانِ في ضَبَابٍ مِنْ أَسَىً شَفِيفْ
كَالبَحْرِ سَرَّحَ اليَدَيْنِ فَوْقَهُ المِسَاء ،
دِفءُ الشِّتَاءِ فِيهِ وَارْتِعَاشَةُ الخَرِيف ،
وَالمَوْتُ ، وَالميلادُ ، والظلامُ ، وَالضِّيَاء ؛
فَتَسْتَفِيق مِلء رُوحِي ، رَعْشَةُ البُكَاء
و نَشْوَةٌ وحشيَّةٌ تُعَانقُ السَّمَاء
كنشوةِ الطفلِ إذا خَافَ مِنَ القَمَر !
كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تَشْرَبُ الغُيُومْ
وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذُوبُ في المِطَر ...
وَكَرْكَرَ الأَطْفَالُ في عَرَائِشِ الكُرُوم ،
وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصَافِيرِ عَلَى الشَّجَر
أُنْشُودَةُ المِطَر ...
مَطَر ...

مَطَر...

مَطَر...

تَثَاءَبَ الْمَسَاءُ ، وَالغُيُومُ مَا تَزَال

تَسِحُّ مَا تَسِحّ من دُمُوعِهَا الثِّقَالْ .

كَأَنَّ طِفَلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أنْ يَنَام :

بِأَنَّ أمَّهُ – التي أَفَاقَ مُنْذُ عَامْ

فَلَمْ يَجِدْهَا ، ثُمَّ حِينَ لَجَّ فِي السُّؤَال

قَالوا لَهُ : " بَعْدَ غَدٍ تَعُودْ .. " –

لا بدَّ أنْ تَعُودْ

وَإِنْ تَهَامَسَ الرِّفَاقُ أنَّها هُنَاكْ

في جَانِبِ التَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّحُودْ

تَسفُّ مِنْ تُرَابِهَا وَتَشْرَبُ المِطَر ؛

كَأنَّ صَيَّادَاً حَزِينَاً يَجْمَعُ الشِّبَاك

و يَلْعَنُ المِيَاهَ و القَدَر

وَيَنْثُرُ الغِنَاءَ حَيْثُ يَأْفلُ القَمَرْ .

مَطَر ...

مَطَر ...

أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المِطَر ؟

وَكَيْفَ تَنْشج المزاريبُ إذا انْهَمَر ؟

وكيفَ يَشْعُرُ الوَحِيدُ فِيهِ بِالضّيَاعِ ؟

بِلا انْتِهَاءٍ – كَالدَّمِ الْمُرَاقِ ، كَالْجِياع ،

كَالْحُبِّ ، كَالأطْفَالِ ، كَالْمَوْتَى – هُوَ الْمَطَر !

وَمُقْلَتَاكِ بِي تَطِيفَانِ مَعِ الْمَطَر

وَعَبْرَ أَمْوَاجِ الخَلِيج تَمْسَحُ البُرُوقْ

سَوَاحِلَ العِرَاقِ بِالنُّجُومِ وَالْمَحَار ،

كَأَنَّهَا تَهُمُّ بِالشُّرُوق

فَيَسْحَب الليلُ عليها مِنْ دَمٍ دِثَارْ .
أصيح بالخليج : " يا خليجْ
يا واهبَ اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! "
فيرجعُ الصَّدَى
كأنَّه النشيجْ :
" يَا خَلِيجْ
يَا وَاهِبَ المِحَارِ وَالرَّدَى ... "
أَكَادُ أَسْمَعُ العِرَاقَ يذْخرُ الرعودْ
ويخزن البروق في السهولِ والجبالْ ،
حتى إذا ما فَضَّ عنها ختمَها الرِّجالْ
لم تترك الرياحُ من ثمودْ
في الوادِ من أثرْ .
أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تَئِنُّ ، والمهاجرين
يُصَارِعُون بِالمجاذيف وبالقُلُوع ،
عَوَاصِفَ الخليج ، والرُّعُودَ ، منشدين :
" مَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
وفي العِرَاقِ جُوعْ
وينثر الغلالَ فيه مَوْسِمُ الحصادْ
لتشبعَ الغِرْبَان والجراد
وتطحن الشّوان والحَجَر
رِحَىً تَدُورُ في الحقول ... حولها بَشَرْ
مَطَر ...
مَطَر ...

مَطَر ...
وَكَمْ ذَرَفْنَا لَيْلَةَ الرَّحِيلِ ، مِنْ دُمُوعْ
ثُمَّ اعْتَلَلْنَا – خَوْفَ أَنْ نُلامَ – بِالمطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
وَمُنْذُ أَنْ كُنَّا صِغَارَاً ، كَانَتِ السَّمَاء
تَغِيمُ في الشِّتَاء
وَيَهْطُل المطَر ،
وَكُلَّ عَامٍ – حِينَ يُعْشُب الثَّرَى– نَجُوعْ
مَا مَرَّ عَامٌ وَالعِرَاقُ لَيْسَ فِيهِ جُوعْ .
مَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
في كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ المطَر
حَمْرَاءُ أَوْ صَفْرَاءُ مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهَرْ .
وَكُلّ دَمْعَةٍ مِنَ الجيَاعِ وَالعُرَاة
وَكُلّ قَطْرَةٍ تُرَاقُ مِنْ دَمِ العَبِيدْ
فَهيَ ابْتِسَامٌ في انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيد
أَوْ حُلْمَةٌ تَوَرَّدَتْ عَلَى فَمِ الوَلِيدْ
في عَالَمِ الغَدِ الفَتِيّ ، وَاهِب الحَيَاة !
مَطَر ...
مَطَر ...
مَطَر ...
سيُعْشِبُ العِرَاقُ بِالمطَر ... "

أصِيحُ بالخليج : " يا خَلِيجْ ...

يا واهبَ اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! "
فيرجعُ الصَّدَى
كأنَّهُ النشيجْ :
" يا خليجْ
يا واهبَ المحارِ والردى . "
وينثر الخليجُ من هِبَاتِهِ الكِثَارْ ،
عَلَى الرِّمَالِ ، : رغوه الأُجَاجَ ، والمحار
وما تبقَّى من عظام بائسٍ غريق
من المهاجرين ظلّ يشرب الردى
من لُجَّة الخليج والقرار ،
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيقْ
من زهرة يربُّها الفراتُ بالندى .
وأسمعُ الصَّدَى
يرنُّ في الخليج
" مطر .
مطر ..
مطر ...
في كلِّ قطرةٍ من المطرْ
حمراءُ أو صفراءُ من أَجِنَّةِ الزَّهَرْ .
وكلّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسمٍ جديد
أو حُلْمَةٌ تورَّدتْ على فمِ الوليدْ
في عالَمِ الغَدِ الفَتِيّ ، واهب الحياة . "

وَيَهْطُلُ المِطَرْ ..[1]

أوّلا– المستوى الصوتي:

يعدّ المستوى الصّوتيّ من أهمّ مستويات الدّراسة الأسلوبيّة يتمّ فيه دراسة الإيقاع الصّوتيّ للنّصّ الشّعريّ، و ينقسم إلى قسمين هما الإيقاع الخارجيّ و الإيقاع الدّاخليّ:

1– الإيقاع الخارجيّ:

1–1– بحر القصيدة:

نظمت قصيدة أنشودة المطر على بحر الرّجز، و مفتاحه هو:

في أبحر الأرجاز بحر يسهل مستفعلن مستفعلن مستفعلن

و قد أصابت تفعيلات القصيدة بعض الزحافات أهمّها: الخبن: متفعلن، الطيّ: مستعلن، الكف: مستفعل. و بعض العلل منها: الخلع و الحذف: فعو، و فعول: الخلع و القصر.

و بحر الرّجز من أشهر البحور التي تُنظم عليها القصيدة الحرّة أو شعر التّفعيلة، و هو من السّهل الممتنع. و قد اتّبعه السيّاب في هذه القصيدة لأنّه يتلاءم مع نفسيّته التواقة إلى التحرّر من القيود و التّعبير بحريّة.

2–1– القافية:

لم تتضمّن قصيدة "أنشودة المطر" قافية واحدة موحّدة، بل عمد السيّاب إلى تنويع القافية، و من أبرزها الرّاء التي تكرّرت كثيرا، حيث وردت في 51 سطرا، من أصل 121 سطرا، إضافة إلى : العين، الميم، اللاّم، الكاف...إلخ، و هذا التنوّع يتلاءم مع ما يريد الشاعر بثّه من مشاعر متنوّعة في ثنايا قصيدته، كالحب و التحسّر و الغضب و الحزن و الدعوة إلى الثّورة...إلخ.

2– الإيقاع الداخليّ:

1–2– الجرس اللّفظيّ:

حملت قصيدة أنشودة المطر جرسا لفظيا واضحا و مناسبا للمعاني التي تحتويها، مما زادها إيحاء، لنلاحظ البيت الأوّل من القصيدة:

– عينـاك غـابتـا نخيـل سـاعة السحر

[1] – بدر شاكر السياب: ديوان أنشودة المطر، دار العودة، بيروت، 1981. ص162 وما بعدها.

و نلاحظ أنّ الجرس اللّفظيّ في هذا البيت يتمثّل في حروف المدّ (الألف و الياء) التي تضمّنها، و هي تحدث إيقاعا يتناسب تماما مع معنى البيت. و قد أوحى حرف المد في (غـابتا) إلى اتساع مساحة الخصب في العراق و كثافته و حرف المد الطويل في (نخيل) أكسب اللّفظة بطئا إيقاعيا.[2]

و نلاحظ الأمر نفسه في بقية أبيات المقطع الأوّل:

- **أو شرفتان راح ينئ عنهما القمر**

فهناك توازن بين دلالة الألفاظ و الجرس اللّفظيّ للقصيدة، حيث جاءت حروف المدّ في هذا المقطع مشكلة إيقاعا لفظيا بطيء و ممتدّ يعبّر عما أراد الشّاعر أن يحمّله هذا المقطع من مشاعر التغني بحبيبته العراق و التغزل بجمالها و خيراتها في حزن و تحسّر.

و هناك نوع آخر من الجرس اللّفظيّ تضمّنته القصيدة، و هو التّجانس في الأصوات و الذي يحدث جرسا لفظيا متماثلا كأنّ اللفظ يتكرّر مرّتين، و تتكرّر النبرة الصوتية نفسها نتيجة تكرار الأصوات نفسها، و نمثّل له بالأبيات الآتية[3]:

- **و نشوة وحشيّة تعانق السّماء**

ش و ة و ش ة

- **دفء الشتاء فيه و ارتعاشة الخريف**

ش ت ا ت ا ش

- **و في العراق ألف أفعى تشرب الرحيق**

ا ل ر ق ا ل ر ق

نلاحظ أنّ التجانس في الأصوات على مستوى البيت الواحد قد أضاف له إيقاعا قويّا و زاده إيحاءً.

2-2- التّوازي:

و يظهر التّوازي الصّوتي في البيت الآتي:

---

[2]- صفية بن زينة: القصيدة العربية في موازين اللسانيات الحديثة قصيدة أنشودة المطر للسياب أنموذجا، بحث مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الأدب العربي، جامعة السانية وهران، 2012-2013. ص53

[3]- المرجع نفسه. ص54

- **و الموت و الميلاد و الظلام و الضياء.**

حيث إنّ تكرار حرف المد (الواو و الألف و الياء) في هذا البيت أكسبه إيقاعا متميزا يجتذب السمع و يثير انتباه القارئ لمعرفة المعنى المقصود منه[4].

و من التوازي أيضا قول الشّاعر:

- **دفء الشّتاء فيه و ارتعاشة الخريف.**

فالتوازي على المستوى التركيب (دفء الشتاء و ارتعاشة الخريف) و هو توازي ضديّ و على مستوى الأصوات قد أضاف إيقاعا لافتا، «فالتوازي الوارد يحمل نبرة موسيقية متسقة و بطيئة، جعلت الإيقاع مناسبا للمعنى»[5].

و عليه نلاحظ أنّ التّوازي أيضا له دوره في تشكيل الجرس اللّفظيّ للقصيدة و قد وظّفه السيّاب لخدمة المعاني التي يريد إيصالها إلى المتلقّي.

3-2- التّكرار:

يعدّ التّكرار ظاهرة أسلوبيّة تميّز القصيدة الحديثة، وهو من أكثر الأساليب التّعبيرية انتشارا، حيث يمنح القصيدة جرسا لفظيا متميّزا، و قد استعمله السيّاب في قصيدته بأشكال مختلفة منها تكرار الصّوت، و تكرار الكلمة، و تكرار العبارة و المقطع:

2-3-1- تكرار الصّوت:

إنّ تكرار الصّوت يكسب القصيدة الشّعرية إيقاعا جميلا و متميزا، و أبرز الأصوات التي تكرّرت في القصيدة بشكل كبير هو صوت الرّاء، حيث تكرّر في المقطع الأوّل فقط 34 مرّة. و الرّاء من الأصوات الذّلقة؛ و الذّلاقة تعني الانطلاق في الكلام دون تعثّر أو تلعثم، و صوت الرّاء في القصيدة يدلّ على عمق الازمة التي كان يعيشها السيّاب، في حين كان هذا الصّوت يخفّف من وطأتها من خلال خصائصه التي توحي بالانطلاق و التجدد و الحركيّة[6].

هذا إضافة إلى تكرار حروف المدّ (الألف، الواو، الياء) و هي تدلّ عموما على مشاعر الحزن و الأسى و التحسّر على العراق و ما آلت إليه أحوالها المزرية، منها: عيناك، غابتا، نخيل، أسى،

---

[4]- المرجع السابق. ص65

[5] - المرجع السابق. ص67

[6] - حسن ناظم: البنى الأسلوبيّة دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط1،2002. ص101.

شفيف، النجوم، الظلام، الضياء، الميلاد، المهاجرين، الخليج، المزاريب، الجياع، الضياع، الرحيق...إلخ.

و نجد أنّ حرف العين قد تكرّر بشكل ملفت في المقطع الآتي:

وَكُلَّ عَامٍ – حِينَ يُعْشُب الثَّرَى– نَجُوعْ

مَا مَرَّ عَامٌ وَالعِرَاقُ لَيْسَ فِيهِ جُوعْ .

مَطَر ...

مَطَر ...

مَطَر ...

في كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ المَطَر

حَمْرَاءُ أَوْ صَفْرَاءُ مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهَرْ .

وَكُلّ دَمْعَةٍ مِنَ الجيَاعِ وَالعُرَاة

وَكُلّ قَطْرَةٍ تُرَاقُ مِنْ دَمِ العَبِيدْ

فَهيَ ابْتِسَامٌ في انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيد

أوْ حُلْمَةٌ تَوَرَّدَتْ عَلَى فَمِ الوَلِيدْ

في عَالَمِ الغَدِ الفَتِيّ ، وَاهِب الحَيَاة !

نلاحظ أنّ صوت العين تكرّر في هذا المقطع إحدى عشر (11) مرّة، و صوت العين حرف قويّ ذو وقع في السّمع، كما انّه صعب المخرج، يخرج من أقصى الحلق، و كل هذه الصّفات التي تجتمع في حرف العين من غلظة و قوة و إيقاع متكلّف و صعوبة في المخرج، كانت مناسبة لمفردات المقطع و دلالاتها المأساويّة و المحزنة، و أسهمت و تشخيص صورة الحزن و الأسى الذي يعيشه السّياب و ما يعتصره من مشاعر مكبوتتة.[7]

و الشيء نفسه نلاحظه في المقطع الآتي:

أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المَطَر ؟

وَكَيْفَ تَنْشج المزاريبُ إذا انْهَمَر ؟

وكيفَ يَشْعُرُ الوَحِيدُ فِيهِ بِالضّيَاعِ ؟

[7]– صفية بن زينة: القصيدة العربية في موازين اللسانيات الحديثة. ص79.

بِلا انْتِهَاءٍ – كَالدَّمِ الْمُرَاقِ ، كَالْجِياع ،

حيث إنّ الإيقاع المتناغم النّاتج عن تكرار حرفيّ الشين و العين قد زاد الصورة الشعريّة قوّة و شجنا و عبّر عن الحزن العميق و القويّ الذي يعيشه الشّاعر فكان تكرار هذين الصوتين في خدمة الإيحاءات الّتي يريد الشّاعر إيصالها إلى المتلقّي و التّعبير عنها.

هذا عن تكرار الصّوت أمّا عن تكرار المفردات و العبارات فسنوجزه في ما يأتي:

2-3-2- تكرار المفردات:

عمد الشّاعر إلى تكرار مفردات بعينها لأغراض معيّنة؛ فتكرار لفظة قطرة في البيت: (وَقَطْرَةً قَطْرَةً تَذُوبُ في المِطَر ...) كان لغرض تصوير حالة سقوط المطر في انتظام و تناسق.

أماّ تكرار لفظة "تسحّ" في البيت: (تَسِحُّ مَا تَسِحّ من دُمُوعِهَا الثِّقَالْ.) فكان لهدف التعبير عن شدّة الألم و الحزن الذي يعاني منه الشّاعر. و يشير تكرار لفظة "جوع" في البيتين: (وفي العِرَاقِ جُوعْ) (وَكُلَّ عَامٍ – حِينَ يُعْشُب الثَّرَى– نَجُوعْ) (مَا مَرَّ عَامٌ وَالعِرَاقُ لَيْسَ فِيهِ جُوعْ.) إلى أنّ الشاعر يؤكّد على الجوع و الفقر الذي يجتاح أهل العراق رغم خيرات بلاده الكثيرة. **تكرار العبارة:**

يعدّ تكرار العبارات أيضا من أنواع التّكرار الأكثر دلالة الّتي يستخدمها الشعراء، و قد وظّفها السيّاب في قصيدته، منها تكرار عبارة "ساعة السحر" في البيتين:

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ ،

يَرُجُّهُ المِجْدَافُ وَهْنَاً سَاعَةَ السَّحَرْ

فتكرار هذه العبارة يتلاءم مع الدلالة التي يريدها الشّاعر حيث إنّ ساعة السّحر هي اللّحظة التي ينبثق فيها الفجر و هي تتناسب مع تجربة الميلاد و البعث التي يريد الشّاعر تحقيقها، و تخليص العراق من الظلام[8]. كما أنّ تكرار مثل هذه العبارات يحقّق الترابط النصيّ.

3-3-2- تكرار اللاّزمة:

يعدّ تكرار اللاّزمة من أهمّ التّكرارات التي نجدها في الشّعر العربيّ الحديث، و قد اعتمده السيّاب في قصيدته بتكرار لفظة: "مطر"، و قد حقّق هذا التّكرار وحدة النصّ و رسم إيقاعا جميلا للقصيدة.

[8]- المرجع السابق. ص85.

4-3-2- تكرار المقطع:

و تكرار المقطع أيضا من أهمّ سمات القصيدة الحديثة، و قد كرّر الشّاعر مقطعين في قصيدته المقطع الأوّل هو:

أصيح بالخليج : " يا خليجْ

يا واهبَ اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! "

فيرجعُ الصَّدَى

كأنَّه النشيجْ :

" يَا خَلِيجْ

يَا وَاهِبَ المِحَارِ وَالرَّدَى ... "

تكرّر هذا المقطع مرّتين و جاء هذا التّكرار للتّعبير عن ما يعانيه الشّاعر من حزن و يأس جرّاء الأوضاع الّتي آل إليها بلده و شعبه.

و المقطع الثاني الذي تكرّر في القصيدة أيضا هو:

في كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ المطَر

حَمْرَاءُ أَوْ صَفْرَاءُ مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهَرْ .

وَكُلّ دَمْعَةٍ مِنَ الجيَاعِ وَالعُرَاة

وَكُلّ قَطْرَةٍ تُرَاقُ مِنْ دَمِ العَبِيدْ

فَهيَ ابْتِسَامٌ في انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيد

أوْ حُلْمَةٌ تَوَرَّدَتْ عَلَى فَمِ الوَلِيدْ

في عَالَمِ الغَدِ الفَتِيّ ، وَاهِب الحَيَاة !

و تكرّر هذا المقطع أيضا مرّتين و لابدّ أنّ الشّاعر أراد من وراء تكراره التّعبير عن أمله في غد جديد و التّفاؤل بحياة أفضل قادمة بعد الثّورة. و المرة الثانية التي تكرّر فيها هذا المقطع في ختام القصيدة و كأنّه يوحي بغلبة الأمل و البشارة على اليأس و القنوط، و هذه المقابلة بين اليأس في "مقطع الخليج"، و الأمل في مقطع "في كل قطرة من المطر" هي مقابلة يعرضها السيّاب لكي يتحوّل اليأس إلى أمل و انتصار[9]

[9] – حسن ناظم: البنى الأسلوبية. ص203-204.

و ختاما نلاحظ أنّ التّكرار في قصيدة "أنشودة المطر" لم يكن سلبيا، و إنّما حقّق التّرابط النصيّ للقصيدة و الوحدة الدّلاليّة، كما أسهم في رسم إيقاع جميل و متوازن لها.

ثانيا– المستوى النّحويّ:

إنّ دراسة المستوى النّحويّ للقصيدة أيضا يكشف عن خصائصها الأسلوبيّة و الجماليّة، فالمستوى التّركيبي له دوره في بناء القصيدة و تلاحمها، و استعمال الشّاعر لتراكيب نحويّة دون غيرها ليس اعتباطا، و إنّما ينتقي منها ما يتناسب مع قصيدته و المعاني التي تحملها، و سنتطرّق إلى أهمّ الظواهر النّحويّة الواردة في قصيدة أنشودة المطر فيما يأتي:

1– الضمائر:

تلعب الضمائر دورا هاما في تحقيق التّماسك النصيّ، و قد وظّفها السيّاب في قصيدته بكلّ أنواعها: المتكلّم و المخاطب و الغائب كما يأتي:

1–1– ضمير المتكلّم:

وظّف السّيّاب ضمير المتكلّم في القصيدة بصيغتيّ المفرد و الجمع، و مما ورد بصيغة المفرد نجد الأبيات الآتية:

- **أصِيحُ بالخليج : " يا خَلِيجْ ...**
- **أَكَادُ أَسْمَعُ العِرَاقَ يذْخرُ الرعودْ**
- **أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر**
- **و أسمع الصدى**

و ممّا ورد بصيغة ضمير المتكلّم الجمع ما يأتي:

- **وَكَمْ ذَرَفْنَا لَيْلَةَ الرَّحِيلِ ، مِنْ دُمُوعْ**
- **ثُمَّ اعْتَلَلْنَا – خَوْفَ أَنْ نُلامَ – بِالمَطَر ...**
- **وَمُنْذُ أَنْ كُنَّا صِغَارَاً ، كَانَتِ السَّمَاء**
- **وَكُلَّ عَامٍ – حِينَ يُعْشُب الثَّرَى– نَجُوعْ**

و هنا نجد أنّ الشّاعر تحوّل من ضمير المفرد على ضمير الجمع. و هذا مرجعه إلى أنّ الشّعور بالألم و الحزن لا يقتصر عليه فقط، و إنّما يشاركه فيه كل أبناء وطنه، فأخرج ضمير الجمع، الأبيات من التّجربة الفرديّة إلى التّجربة الجماعيّة الّتي تعبر عن حال أهل العراق و ما يعيشونه[10].

2-1- ضمير الغائب:

وظّف الشّاعر ضمير الغائب في أبيات كثيرة من القصيدة نذكر منها:

- كأنّما تنبض في غورهما النجوم.
- و تغرقان في ضباب من أسى شفيف.
- كنشوة الطفل إذا خاف من القمر.
- و يلعن المياه و القدر
- تغيم في الشتاء.
- من المهاجرين ظل يشرب الرّدى.
- و في العراق ألف أفعى تشرب الرّحيق.

ففي البيت الأوّل نجد أنّ فاعل الفعل المضارع (تنبض) ضمير مستتر تقديره هي، و تقدير الفاعل في الأبيات المتبقيّة هو:

- و تغرقان (هما) في ضباب من أسى شفيف.
- كنشوة الطفل إذا خاف (هو) من القمر.
- و يلعن (هو) المياه و القدر
- تغيم (هي) في الشتاء.
- من المهاجرين (هم) ظل يشرب الرّدى.
- و في العراق ألف أفعى تشرب (هي) الرّحيق.

و من الملاحظ أنّ ضمائر الغائب هي الغالبة في القصيدة «لأنّها تعكس أبعاد تجربة الشاعر النفسية المتمثلة في الغياب و الغربة و الوحدة و كذا الضياع داخل وطنه»[11].

3-1- ضمير المخاطب:

[10] – صفية بن زينة: القصيدة العربية في موازين اللسانيات الحديثة. ص265.

[11] – المرجع السابق. ص273.

استعمل الشّاعر ضمير المخاطب في الأبيات الآتية:

- عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ ،
- عَيْنَاكِ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الكُرُومْ
- أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المطَر ؟
- وَمُقْلَتَاكِ بِي تَطِيفَانِ مَعِ الْمَطَر

وظّف الشّاعر ضمير المتكلّم ليستحضر متكلّمه في خضمّ الأحداث و كأنّه موجود حقا فيجسّد الصّورة للمتلقّي و يجعلها شاخصة أمامه.

2- أنواع الجمل:

استعمل الشّاعر في "قصيدة أنشودة المطر" الجمل الاسميّة و الجمل الفعليّة، و لكلّ واحدة منها دلالتها الخاصّة في القصيدة سنوضّحها فيما يأتي:

2-1- الجمل الفعليّة:

من الأبيات التي تحمل الجمل الفعليّة نذكر:

- وَتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ...كَالأَقْمَارِ في نَهَرْ
- يَرُجُّهُ المِجْدَافُ وَهْنَاً سَاعَةَ السَّحَرْ
- وَتَغْرَقَانِ في ضَبَابٍ مِنْ أَسَىً شَفِيفْ
- فَتَسْتَفِيق مِلء رُوحِي ، رَعْشَةُ البُكَاء
- كنشوةِ الطفلِ إذا خَافَ مِنَ القَمَر !
- وَكَرْكَرَ الأَطْفَالُ في عَرَائِشِ الكُرُوم ،
- وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصَافِيرِ عَلَى الشَّجَر
- تَثَاءَبَ الْمَسَاءُ ، وَالغُيُومُ مَا تَزَال
- تَسِحُّ مَا تَسِحّ من دُمُوعِهَا الثّقَالْ .
- قَالوا لَهُ : " بَعْدَ غَدٍ تَعُودْ .. " –
- وَيَنْثُرُ الغِنَاءَ حَيْثُ يَأْفلُ القَمَرْ .
- فَيَسْحَب الليلُ عليها مِنْ دَمٍ دِثَارْ .
- أصيح بالخليج : " يا خليجْ

- فيرجعُ الصَّدَى

فالجمل الفعليّة منحت القصيدة معاني التّجدّد و الاستمراريّة ، و ذلك لأنّ الفعل بما يحمله من زمن يمنح الجمل حركيّة و نشاطا و تجدّدا في المعنى مثل: ترقص، يرجّ، تغرق، يرجّ، كركر، دغدغ، تثاءب، ينثر أصيح...إلخ.[12]

2-2- الجمل الاسميّة:

أمّا الجمل الاسميّة فقد تضمّنتها الأبيات الآتية:

- عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ ،
- أو شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا القَمَرْ .
- عَيْنَاكِ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الكُرُومْ
- كَالبَحْرِ سَرَّحَ اليَدَيْنِ فَوْقَهُ المِسَاء ،
- دِفءُ الشِّتَاءِ فِيهِ وَارْتِعَاشَةُ الخَرِيف ،
- وَالمَوْتُ ، وَالميلادُ ، والظلامُ ، وَالضِّيَاء ؛
- كنشوةِ الطفلِ إذا خَافَ مِنَ القَمَر !
- كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تَشْرَبُ الغُيُومْ
- وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذُوبُ في المِطَر ...
- أُنْشُودَةُ المِطَر ...
- كَالْحُبِّ ، كَالأَطْفَالِ ، كَالْمَوْتَى - هُوَ الْمَطَر !
- وَمُقْلَتَاكِ بِي تَطِيفَانِ مَعِ الْمَطَر
- سَوَاحِلَ العِرَاقِ بِالنُّجُومِ وَالْمَحَار ،
- حَمْرَاءُ أَوْ صَفْرَاءُ مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهَرْ .
- فَهيَ ابْتِسَامٌ في انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيد
- أوْ حُلْمَةٌ تَوَرَّدَتْ عَلَى فَمِ الوَلِيدْ

فالجمل الاسميّة تمتاز بالهدوء و السّكون، و الاسم يعطي الحدث نوعا من الثّبات و عدم التّجديد، و قد استعملها الشّاعر للتعبير عن الحالات التي تحتاج إلى توصيف و تثبيت.[13]

---

[12] - المرجع السابق. ص285-286.

3- الأساليب:

3-1- الاستفهام:

خرج أسلوب الاستفهام في القصيدة عن غرضه الأصليّ إلى أغراض أخرى؛ فالشّاعر لا ينتظر إجابة عن تساؤلاته و إنّما يريد من خلالها أن يثير انتباه القارئ و يبتعد به عن رتابة الأسلوب التّقريريّ، ففي المقطع:

أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المِطَر ؟

وَكَيْفَ تَنْشج المزاريبُ إذا انْهَمَر ؟

وكيفَ يَشْعُرُ الوَحِيدُ فِيهِ بِالضّيَاعِ ؟

الشاعر لا ينتظر جوابا من حبيبته الغائبة، و إنّما يشير إلى تهويل معيّن لطبيعة الإحساس الذي يشعر به أثناء مشاهدته لنزول المطر و هو الحزن، و هنا تنكسر البنية اللّسانيّة و يخرج الاستفهام عن غرضه الأصليّ و نكون إزاء انزياح معيّن.[14]

3-2- النّداء:

يعدّ أسلوب النّداء، في قصيدة أنشودة المطر، أيضا انزياحا، لأنّه انزاح عن غرضه الأصليّ إلى المناجاة و يتّضح ذلك في الأبيات الآتية:

أصيح بالخليج : " يا خليجْ

يا واهبَ اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! "

فيرجعُ الصَّدَى

كأنَّه النشيجْ :

" يَا خَلِيجْ

يَا وَاهِبَ المِحَارِ وَالرَّدَى ... "

نلاحظ أنّ الشّاعر لا يقصد النّداء الحقيقيّ بقدر ما هو يناجي الخليج و يصيح معبّرا عن حزنه و ألمه و حسرته.

4- التّقديم و التّأخير:

---

[13] - المرجع السابق. ص290.

[14] - حسن ناظم: البنى الأسلوبيّة. ص146 و ما بعدها.

اعتمد الشّعر أسلوب التّقديم و التّأخير لكي يركّز على تفاصيل معيّنة و يبرزها فيقدّمها على غيرها، و نذكر منها:

تقديم الجار و المجرور على الفاعل: كقول الشّاعر:

أو شرفتان راح ينئ عنهما القمر (أو شرفتان راح القمر ينئ عنهما)

كأنما تنبض في غورهما النّجوم (كأنّما تنبض النّجوم في غورهما)

و ذلك من أجل أن يبرز جمال الحبيبة و هي العراق فتقديم الجار و المجرور في البيتين جعل الصورة أكثر جمالا و أبلغ تعبيرا.

تقديم الحال:

و قطرة فقطرة تذوب في المطر (وتذوب في المطر قطرة فقطرة)

لتصوير سقوط المطر في رتابة و تناسق قطرة فقطرة و كأنّ الصّورة شاخصة أمام القارئ.

تقديم الفاعل على الفعل:

أو حلمة تورّدت على فم الوليد (أو تورّدت حلمة على فم الوليد)

و ذلك لإبراز خيرات العراق و التفاؤل بغد أفضل له.

تقديم الخبر على المبتدأ:

و في العراق جوع (و جوع في العراق)

و قد قدّم الشّاعر الخبر على المبتدأ من أجل التّأكيد على أنّ العراق يعاني من الجوع و الحرمان.

و يعدّ التّقديم و التّأخير في القصيدة عبارة عن انزياح خرج عن المؤلوف، و شكل متميّز من أشكال التّعبير زاد القصيدة جمالا.

ثالثا– المستوى الدّلاليّ:

أوّلا– الدلالة السياقية لمفردات القصيدة:

1– معاني كلمة مطر:

– المطر= المطر الطّبيعيّ:

كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تَشْرَبُ الغُيُومْ

وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذُوبُ في المِطَر ...

– المطر= أنشودة أو أسطورة: أُنْشُودَةُ المِطَر ...

يوظّف الشّاعر في قصيدته أسطورة إغريقيّة هي أنشودة المطر (و قد سبق شرحها في القسم)

– **المطر= الحزن أو اليأس**: أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المِطَر ؟

يعبّر الشاعر هنا عن حالته النفسيّة أثناء سقوط المطر أين ينتابه شعور الحزن و اليأس.

–المطر= الدم، الجوع، الحب، الأطفال، الموتى.

بِلا انْتِهَاءٍ – كَالدَّمِ الْمُرَاقِ ، كَالْجِياع ،

كَالْحُبِّ ، كَالأطْفَالِ ، كَالْمَوْتَى – هُوَ الْمَطَر !

يتذكر الشّاعر، عند سقوط المطر، ما يعانيه شعبة من استبداد، و يتباذر إلى ذهنه الدّم المراق، و الجياع و الحب و الأطفال و الموتى.

–المطر= الواهب و الدافع إلى العمل والمحفّز على الثّورة.

أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر

وأسمع القرى تَئِنُّ ، والمهاجرين

يُصَارِعُون بِالمجاذيف وبالقُلُوع ،

عَوَاصِفَ الخليج ، والرُّعُودَ ، منشدين :

" مَطَر ...

مَطَر ...

مَطَر ...

يمثّل المطر في هذه الأبيات رمزا للثّورة و محفّزا لها، فالشّعب يريد الثّورة و ينادي: مطر... مطر... مطر... و كأنّه يقول: الثّورة... الثورة... الثورة...

–المطر= الاعتلال و الجوع

وَكَمْ ذَرَفْنَا لَيْلَةَ الرَّحِيلِ ، مِنْ دُمُوعْ

ثُمَّ اعْتَلَلْنَا – خَوْفَ أَنْ نُلامَ – بِالمطَر ...

فالمطر هنا مصدر الاعتلال لأنّه كلّما سقط المطر ازداد الشّعب علّة و مرضا و جوعا، و المعنى نفسه نجده في الأبيات الآتية:

وَمُنْذُ أَنْ كُنَّا صِغَارَاً ، كَانَتِ السَّمَاء

تَغِيمُ في الشِّتَاء

وَيَهْطُل المطَر ،

وَكُلَّ عَامٍ – حِينَ يُعْشُب الثَّرَى– نَجُوعْ

مَا مَرَّ عَامٌ وَالعِرَاقُ لَيْسَ فِيهِ جُوعْ .

فعلى الرّغم من سقوط المطر و اخضرار المزارع و جني المحاصيل إلا أنّ الشّعب يعاني من الجوع لأنّ خيرات بلاده قد نهبت.

–المطر= التفاؤل و الأمل:

في كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ المطَر

حَمْرَاءُ أَوْ صَفْرَاءُ مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهَرْ .

وَكُلّ دَمْعَةٍ مِنَ الجيَاعِ وَالعُرَاة

وَكُلّ قَطْرَةٍ تُرَاقُ مِنْ دَمِ العَبِيدْ

فَهيَ ابْتِسَامٌ في انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيد

أوْ حُلْمَةٌ تَوَرَّدَتْ عَلَى فَمِ الوَلِيدْ

في عَالَمِ الغَدِ الفَتِيّ ، وَاهِب الحَيَاة !

فالمطر في هذه الأبيات يعبّر عن التّفاؤل و البشارة بغد أفضل و مستقبل زاهر للعراق و أهله.

2– دلالة الألفاظ المقاربة لكلمة مطر:

–النّهر= الجمال

وَتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ...كَالأَقْمَارِ في نَهَرْ

و يتغزّل الشّاعر في هذا البيت بحبيبته و وجمال عينيها التي تتراقص الأضواء فيهما كأنّها النّجوم عندما تنعكس على سطح النّهر.

– **الضباب= الحزن و الأسى:** وَتَغْرَقَانِ في ضَبَابٍ مِنْ أَسَىً شَفِيفْ

–السحاب و الغيوم و القطرات= الحزن و القلق:

كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تَشْرَبُ الغُيُومْ

وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذُوبُ في المطَر ...

– **البكاء= التّنفيس و الإفضاء:** فَتَسْتَفِيق مِلء رُوحِي ، رَعْشَةُ البُكَاء

– **الدموع= الحزن و الملل لطول المعاناة:**

تَثَاءَبَ الْمَسَاءُ ، وَالغُيُومُ مَا تَزَال

تَسِحُّ مَا تَسِحّ من دُمُوعِهَا الثِّقَالْ .

- **الأمواج= الغضب و الدّعوة إلى الثّورة:** وَعَبْرَ أَمْوَاجِ الخَلِيج تَمْسَحُ البُرُوقْ
- **الفرات= الإنتاج و الخيرات و الخصب:** من زهرة يربُّها الفراتُ بالندى .

2- ألفاظ أخرى:

- **الأم= الوطن العراق:** بِأَنَّ أمَّهُ – التي أَفَاقَ مُنْذُ عَامْ
- **الأطفال= تجدّد الحياة و حيويّتها:** وَكَرْكَرَ الأَطْفَالُ في عَرَائِشِ الكُرُوم ،
- **العصافير: الحريّة:** وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصَافِيرِ عَلَى الشَّجَر
- **النّجوم= الأمل** سَوَاحِلَ العِرَاقِ بِالنُّجُومِ وَالْمَحَار ،
- **الغربان و الجراد و الأفعى= المستعمر، و المغتصبين لخيرات العراق.**

لتشبعَ الغِرْبَان والجراد

وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيقْ

(نكمل بقية الدّراسة الدّلالية أثناء الدّروس الحضورية)